المحاضرة الحادية عشر: طبيعة الإحالة في الخطاب

يعتقد هاليداي ورقية حسن أن العنصر الأساسي الذي يحدد ما إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصًا هو وجود علاقات الترابط النصي بين الجمل، مما يساهم في تشكيل بنية النص. فالنص يتميز بوجود بناء نصي يفرقه عما لا يُعتبر نصًا. وتُستمد هذه الحبكة من خلال علاقات الترابط، التي تتشكل عندما يعتمد عنصر معين في الخطاب على عنصر آخر، حيث يفترض الأول وجود الثاني، مما يعني أنه لا يمكن فهمه بشكل صحيح إلا بالرجوع إلى الثاني.[1]

ومثال ذلك قول الشاعر:

لَم نَعتَقِد بَعدَكُم إِلّا الوَفاءَ لَكُم رَأياً وَلَم نَتَقَلَّد غَيرَهُ دينا

إن العنصر "الهاء" في قول الشاعر "غيره" تحيل إلى عنصر آخر وهو الوفاء، وهذه الوظيفة هي الوظيفة الإحالية، حيث أضفى هذا العنصر ترابطا بين الجملتين، لا يمكن أن فهمه الخطاب إلا في ضوئها.

وعندما يكون الشيء المشار إليه خارج النص من حيث السياق أو المقام، تُعرف العلاقة هنا بالعلاقة الخارجية، حيث لا تسهم في ترابط النص. أما إذا كان الشيء المشار إليه داخل النص، فإننا نتحدث عن علاقة داخلية، والتي تلعب دورًا مهمًا في تماسك أجزاء النص.[2]

---

[1] براون، ويول، تحليل الخطاب، ص228.

[2] براون، ويول، تحليل الخطاب، ص230.

1-تعريف الإحالة:

تعرف الإحالة في الدراسات النصية بأنها: العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي تدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص.[3]

وتجسد الإحالة من خلال مجموعة من العناصر هي:[4]

-المتكلم.

-العنصر الإحالي.

-المحال إليه.

-العلاقة بين المحيل والمحال إليه.

فتعد الإحالة بذلك ثورة على اللسانيات البنيوية التي كانت ترى القطيعة بين العلامة اللغوية وما تشير إليه "المرجع"، فهي أحد أهم العناصر في العملية التواصلية والإبلاغية.

2-أقسام الإحالة:

تنقسم الإحالة إلى:

---

[3] أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، القاهرة، دط، دت، ص16.

[4] محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006، ص17.

2-1 إحالة خارجية أو المقامية: وهي إحالة العنصر إلى شيء غير مذكور في النص وإنما يفهم من السياق، أي أن المحال إليه موجود في المقام، ويمكن تسميتها بالإحالة لغير مذكور، أو لمرجع متصيد.[5] ولا يمكن تفكيك الشفرة اللغوية وفهم الخطاب من غير الرجوع إلى السياق.

ومثال ذلك قوله تعالى: "**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**" **[الزخرف]**

ففي قوله: "أنا" تحيل على المتكلم الذي هو فرعون، الذي لم يذكر في الآية الكريمة ولا يمكن تفسير إحالة الضمير على القائل إلا من خلال الخروج من النص إلى السياق.

2-2 إحالة داخلية أو نصية: ويقصد بها إحالة عنصر إلى عنصر آخر داخل النص أو الخطاب.

ومن أمثلته:

قال تعالى: "وما تذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة"

فالضمير هو أحال على لفظ الجلالة الله، وقد ذكر في الآية الكريمة، ولهذا فإن الضمير هو لا يفهم إلا من خلال ربطه بما أحال وهو لفظ الجلالة "الله"

وتنقسم إلى قسمين:

---

[5] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص301.

أ-**إحالة قبلية:** ويقصد بها أن الإحالة تكون على شيء سبق ذكره في النص[6]، فلا يمكن فهم المحيل إلى من خلال الرجوع إلى ما ذكر قبله وربطه بالعلاقة الإشارية والإحالية لفهمه وفك شفرته.

ومثال ذلك:

ب-إحالة بعدية: وهي إحالة العنصر اللغوي على عنصر آخر يذكر في الخطاب بعد العنصر المحيل، فلا يمكن التوقف حتى بلوغ هذا العنصر وإعادة تحليل العلاقة بينهما حتى يفهم الخطاب.

ومثال ذلك:

قال تعالى: "فأوجس في نفسه خيفة موسى" فالهاء في قوله نفسه، لا يمكن فهمها إلا من خلال تتمة الآية "موسى" فقد أحالت على مذكور بعدها، ولو توقف القارئ في أي موضع قبل "موسى" ما أمكنه فهم من المراد بنفسه.

3-أدوات الإحالة:

للإحالة أدوات متنوعة أهمها:

3-1 الضمائر:

كقوله تعالى: "**وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل**" فالهاء في جعلناه ضمير عائد على الكتاب.

---

[6] الأزهر زناد، نسيج النص، ص118.

3-2 أسماء الإشارة: كقول الشاعر عمر بن ربيعة:

هذي ثمانية تهل وتنقضي عالجت فيها سقم صبّ مغرم

ومحل الشاهد في هذي التي هي لغة تميم إحدى لغات العرب، وهي اسم إشارة مبهم لا يمكن فهمه إلا من خلال إحالته على المحال إليه ثمانية، ففك الشفرة اللغوية وفهم القصد من القول لا يتم إلا من خلال العلاقة بين المحيل والمحال إليه.

3-3 الأسماء الموصولة: قال الفرزدق:

إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ بَنى لَنا بَيتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطوَلُ

فالذي هنا اسم موصول مبهم، إذ لا يحمل دلالة في ذاته، بل فيما يحيل إليه، ولا يمكن فهم المراد إلا من خلال العلاقة الإحالية، إذ لا يمكن فهم اسم الموصول ما يراد منه إلا بمتابعة الكلام وبلوغ المحال إليه "سمك السماء" ليستقر في ذهن المتلقي المقصود به ربنا جل جلاله.